

استراتيجية خطاب المرأة القبائلية وأبعاده الدلالية. – دراسة تطبيقية لقصيدة دينية-

الدكتور: مولود بغورة

الأستاذة: تسعديت بن يحي

جامعة بودواو-بومرداس

ملخص:

تعرف المرأة القبائلية بشاعريتها كوسيلة للتعريف بهويتها ولإثبات مقدوراتها الفنية، فهي بذلك تعبر عن مكبوتاتها النفسية برسالة كلامية، قد تتعدى بها إلى وصف المجتمع. وبهذا ستعالج مداخلتنا دراسة تطبيقية للقصيدة الدينية الأكثر تداولاً في منطقة من مناطق القبائل الصغرى –آيت تيزي- موضوعها الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم على مدار أيام الأسبوع. وفيما سنحاول دراسة لغة المرأة في هذا النص الشعري انطلاقاً من توظيفها للغة القروية المحلية، والفصحى الدخيلة من حين لآخر.

دون أن ننسى تقديم دلالات وعلاقات تلك الألفاظ من خلال تقسيمها إلى معاجم وبالتالي مدى حضور المجال الفكري للمرأة أثناء نسجها للخطاب أو النص الشعري.

الانطلاق إذن ستبدأ من طرح التساؤلات التالية:

-كيف تتجلى استراتيجية الخطاب الشعري عند المرأة القبائلية؟
-وكيف أن للغة دور في جعل الخطاب مادة للدراسة في مجال الأدب؟ مع محاولة تفكيك الرسالة الضمنية في القصيدة الدينية.

للإجابة عن هذه التساؤلات، سنتقدم بتحليل القصيدة الدينية وتفكيكها إلى وحدات نحوية بالنص الأم، ثم تقديم الترجمة الفصحى لها.

Abstract:

The Berber woman is known for her passion for poetry, she uses it as a tool to reflect her identity and to show her artistic skills as a poet. These verbal messages are an expression of her repressed feelings and may expand further to describe the society in which she lives.

This paper will analyse the practical study of the most used religious poem from a small Berber tribal area, such as Ait Tizi. The subject

of the poem is a prayer on the Prophet Mohammed “peace upon him”, for each day of the week. We will then attempt to study the women’s language used in this poetic text, starting from her use of rural local (Berber) language and the formal Arabic language introduced from time to time.

The meaning of the words used and their relationships will be presented by subdivision into their related dictionaries showing the degree of involvement of the woman’s intellect during her recitation of the poetic text.

We will start therefore by asking the questions:

- How does the Kabyle woman’s strategic poetic speech manifests itself?

- And how is the language having a role in making the speech as a subject of literary study? With an attempt to decipher the implicit message contained in the religious poem.

With this in mind, the religious poem will be analysed and subdivided into its elementary grammatical constituents in the Berber language and then their translation to formal Arabic will be presented.

يمثل الشعر القبائلي جزءا هاما من التراث الشفوي الجزائري، لأنه التعبير الأكثر صدقا ووفاء عن انشغالات واحتياجات الشعب، إذ يحمل في كل حقبة تاريخية مميزات وخصائص تختلف عن الأخرى. وتلعب المرأة القبائلية الدور الأساس في حمل هذا الإرث، كونها المصدر الأساس للتنشئة الاجتماعية، فإذا ما تحدثنا عن شعر الأمهات – الأمومة- مثلا أو ترانيمها المميزة في تربية الأبناء، لا يفسر ذلك الحنان الخاص أو الراحة النفسية التي نشعر بها، وإنما يرجع إلى كون تلك الأشعار تابعة ولصيقة بها.

يدلّ هذا على الارتباط الوثيق والشديد بين المرأة وشعرها، في رعاية أسرته ماديا ومعنويا، فهو ليس فقط إنتاجا أدبيا، وإنما أداة روحية كالتّي تستعملها في حرفة النسيج أو طحن القمح... فهي ليست ورودا مصطنعة، بل أشعارا تبرز وتظهر وقت الحاجة والضرورة.

فهذا الشعر الشفوي غير المنظم، هو نقطة إتحاد بين الفرد – المرأة- والكون، إذ لم يكتب من طرف الأولين، وإنما تناقلته الأجيال لبساطته وكثافته الشعرية المعتمدة.

واكب الشعر القبائلي النسوي مراحل حياة الإنسان من الميلاد حتى الوفاة، فالإنسان دائما في طور التعبير عن حالته وحالة مجتمعه، تاركا بصمة من بصماته في قالب شعري

يتوارثه الأجيال، وهذا ما حدث لنا، إذ توارثنا هذه الأشعار المجهولة القائل –غالباً- ليس بصدد حفظها وإنما بغرض الاحتفاظ بها بتدوينها ودراستها، فمن بين الأشعار التي ترد حسب نواميس الحياة نجد أشعار الميلاد، الختان، الزواج، الفراق، الغربة... فهي إذن - في معظمها- تعالج مختلف القضايا الاجتماعية. وتجدر الإشارة، في هذا السياق، إلى أن ما وصلنا من شعر في بلاد القبائل قليل جداً إذا ما قورن بما ضاع، في فترة ما قبل القرن 16، فكل ما وصلنا عبارة عن مقطوعات دينية قليلة... ونظراً لأهمية الجانب الديني في منطقة القبائل، واشتغال المرأة به كرمز من رموز هويتها الأصيلة، ارتأيت أن أتقدم بتحليل قصيدة شعرية كثيرة التداول في الأوساط النسوية القبائلية في منطقة من مناطق القبائل الصغرى –آيت تيزي-* واستخراج أبعادها الدلالية. وقبل التحليل علينا بتقديم النص كاملاً والذي جمعناه من الميدان.

-نص القصيدة:

الآبيات باللغة القبائلية:	الترجمة الفصحى:
(1)	(1)
1- آذ صَلِّغْ فَلَآكْ أَ نِّيْ.	1- أصلي عليك أيها النبي.
2- إِطَا اَيِّي ذَلْحَدْ.	2- ليلة هذا الأحد.
3- أَ شَهْدْ اَنْ تَامَمْتُ نَحْرُوْثْ.	3- يا شهد العسل الحر.
4- إِزْطَانْ فُوَاْحَدْ.	4- المنسوجة على واحد.
5- سَلِّي فِي رَسُوْلِ اللّٰه.	5- سلم على رسول الله.
6- أَ نِّيْ مُحَمَّدْ.	6- النبي محمد.
(2)	(2)
1- آذ صَلِّغْ فَلَآكْ أَ نِّيْ.	1- أصلي عليك أيها النبي.
2- إِطَا اَيِّي ذ لثْنَيْنِ.	2- ليلة هذا الإثنين.
3- أَ شَهْدْ اَنْ تَامَمْتُ نَحْرُوْثْ.	3- يا شهد العسل الحر.
4- إِزْطَانْ بَرْدَايْنِ.	4- المنسوجة مرتين.
5- سَلِّي فِي رَسُوْلِ اللّٰه.	5- سلم على رسول الله.
6- أَنْبِي ذ جَبْرَايْنِ.	6- النبي وجبريل.
(3)	(3)
1- آذ صَلِّغْ فَلَآكْ أَ نِّيْ.	1- أصلي عليك أيها النبي.
2- إِطَا اَيِّي ذ ثَلَاثَا.	2- ليلة هذا الثلاثاء.
3- أَ شَهْدْ اَنْ تَامَمْتُ نَحْرُوْثْ.	3- يا شهد العسل الحر.

4-المنسوجة على ثلاث.	4- إزطان فثلاثا.
5-سَلَم على رسول الله.	5- سَلَمِي فِي رُسُولِ اللَّهِ.
6-النبى المصطفى.	6- أُنْبِي لمصطفى.
(4)	(4)
1-أصلي عليك أيها النبي.	1- آذ صَلِيغ فلاك أَنْبِي.
2-ليلة هذا الأربعاء.	2- إِطَا ذ لاربعاء.
3-يا شهد العسل الحر.	3- أَشْهَدَ اِنْ ثَامَمْتُ نَحْرُورْث.
4-المنسوجة للسماء	4- إزطان إلهو.
5-سَلَم على رسول الله.	5- سلمِي فرسول الله.
6-النبى والصحابة.	6- انبى ذ صحابا.
(5)	(5)
1-أصلي عليك أيها النبي.	1- آذ صَلِيغ فلاك أَنْبِي.
2-ليلة هذا الخميس.	2- إِطَا اَيِّي ذ لَخَمِيْسْ.
3-يا شهد العسل الحر.	3- أَشْهَدَ اِنْ ثَامَمْتُ نَحْرُورْث.
4-المنسوجة لوحدها.	4- إزطان إِي مَايِسْ.
5-سَلَم على رسول الله.	5- سَلَمِي فِي رُسُولِ اللَّهِ.
6-النبى وأبناءه.	6- اُنْبِي ذُ وَا زَاوِيْسْ.
(6)	(6)
1-أصلي عليك أيها النبي.	1- آذ صَلِيغ فلاك أَنْبِي.
2-ليلة هذا الجمعة.	2- إِطَا ذ لَجْمَعَا.
3-يا شهد العسل الحر.	3- أَشْهَدَ اِنْ ثَامَمْتُ نَحْرُورْث.
4-نسجتها النحل.	4- إزطانتْ تَزِيَزُوا.
5-سَلَم على رسول الله.	5- سَلَمِي فِي رُسُولِ اللَّهِ.
6-والصحابة العشر.	6- ذُ صُحَابَا فَعَشْرَا.
(7)	(7)
1-أصلي عليك أيها النبي.	1- آذ صَلِيغ فلاك أَنْبِي.
2-ليلة هذا السبت.	2- إِطَا اَيِّي ذ سَبْتْ.
3-يا شهد العسل الحر.	3- أَشْهَدَ اِنْ ثَامَمْتُ نَحْرُورْث.
4-المنسوجة بالتمام.	4- إزطان تُوصَفْ.
5-سَلَم على رسول الله.	5- سَلَمِي فِي رُسُولِ اللَّهِ.
6-وعلى سيدنا يوسف.	6- آذ سَيِدْنَا يَوْسُفْ. **

1-تحليل القصيدة المديح والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

1_1_ من حيث المعنى:

ارتأينا تحليل هذه القصيدة نظرا للأثر الذي تؤدّيه في نفوس أهل المنطقة خاصّة النساء، إذ نجدهن يرددنها طوال أيام السنة، بمناسبة أو من دون مناسبة، فرحا كان أم حزنا، فبالإضافة إلى أنها قصيدة دينية محضة، تتغنى وتُشيد وتمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، نجدها من جهة ثانية تقوم بأداء وظيفي خالص، لأن المرأة القبائلية لم تجعلها كقصيدة ثابتة لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم فقط، وإنما جعلتها كزاد لشحنتها ولإثارة حيويتها ونشاطها في مختلف أوقاتها، إذ نجدها تتغنى بها أثناء قيامها بأعمالها المنزلية، أو أثناء هدهة أبنائها، أو عند تنويم رضيعها وتهديته... حتى أنّها يتغنى بها في المناسبات والاحتفالات الكبرى، كالزواج، الميلاد، والختان وتفضّل النساء بداية حلقتهم الغنائية بهذه القصيدة، تبرّكا بها لما تحمله من معان رفيعة، وأنّها بادرة خير لاكتمال العرس؛ فأهالي هذه المنطقة يربطن الأغنية بالفأل الخير والطيب حتى ينزل الله عليهم البركة، ويمرّ الفرح دون مشاكل ولا خسارة.

انطلاقا من مفهوميّة القصيدة، نجدها أكثر شعبيّة لذا يمكن إدراجها ضمن مواضيع الأشعار الاجتماعية، إلا أنّنا نؤكد على أنها قصيدة دينية محضة، ولكن وظيفتها في هذه المجتمع أعطى لها أهميّة أكبر، ووظيفة اجتماعية أبلغ.

ومن جهة ثانية، لاحظنا أن القصيدة كاملة تامة من حيث المعاني، فلا نشك في وجود حذف أو نقصان نظرا لشفويّتها وانتقالها عبر الأجيال دون تدوين، والذي يؤكد على ذلك مدح الرسول صلى الله عليه وسلم على مدار أيام الأسبوع، بداية من يوم الأحد إلى غاية يوم السبت على التوالي، دون حذف ولا إضافة، وهذا ما يدل كذلك على أن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يكون مع طوال أيام الأسبوع ومنه الشهور -والسنين... وهذه كذلك سمة قد تميز أهالي المنطقة وهو تقربهم الشديد من حب الطاعات لله عز وجل ولرسوله الكريم، وتشبّعهم بميراث الثقافة الإسلامية.

ولا ننسى الإشارة، إلى أنّ هذا الشعر ليس خاصا بالمرأة فقط، وإنما قد نجده يغنى وينشد من طرف الرجال أثناء الحصاد وجني الزيتون، وكذا في التجمعات الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف وحتى في الجنائز.

فالقصيدية نجدها تشيد بمدح الرسول عليه الصلاة والسلام، على مدار أيام الأسبوع، بدءاً بيوم الأحد على وزن اسم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا لمراعاة وزن القافية، كما أن المرأة القبائلية تشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالعسل المصفى (الشهد)، وفي هذا التشبيه نجدها في بعض الأحيان تضيف مدح بعض الشخصيات البارزة والأنبياء، ففي المقطوعة الأولى تحتفظ باسم الرسول الكريم "محمد" ثم في المقطوعة الثانية تبعث سلامها للرسول صلى الله عليه وسلم ولجبريل عليه السلام، بعدها تعود إلى مدح الرسول لكن بتغيير اسمه بأحد أسمائه الشهيرة "المصطفى"، وفي المقطوعة الرابعة تبعث بسلامها إلى الرسول وكل الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم-، لتعود في المقطوعة الخامسة لبعث السلام للرسول ولأبنائه الكرام، أما في المقطوعة السادسة فتبعث بسلامها إلى الرسول وإلى الصحابة العشر الأوائل المبشرين بالجنة، لتنتهي سلامها بسيدنا يوسف عليه السلام، كرمز للصبر الطويل في مواجهة صعوبات الحياة والدنيا.

والقصيدة كاملة تحتوي على اثنين وأربعين بيتاً شعرياً، وتنقسم إلى سبعة مقاطع شعرية حسب عدد أيام الأسبوع، وكل مقطع فيها يحتوي على ستة أبيات شعرية، والبيت في حد ذاته هو سطر شعري، ذو وحدة دلالية وإيقاعية مكتملة بين التوقف عند نهايتها أثناء الإنشاد، بمعنى أن كل سطر شعري مكتمل المعنى والدلالة فلا يستوجب عليه ذكر البيت أو السطر الشعري الثاني لإتمام المعنى، ومنه فالجملة مكتملة.

أما عن نظام القافية فهي مبنية على شكل النظام القديم "ثاقصيت" كما يلي: أب /

ج ب / دب

س1 أ س2.....ب

س3.....ج س4.....ب

س5.....د س6.....ب

فالقافية الموحدة هي "ب" أي في نهاية السطر الثاني، الرابع والسادس (الأبيات الزوجية) أما الأبيات الفردية منها، الأول، الثالث والخامس فالقافية متغيرة.

وفي ما يخص عدد المقاطع الصوتية في القصيدة، فهو مرتبط بالإنشاد الشفوي أي يريتم الإلقاء (السرعة والبطء)، بحيث يمكن اختصار ثمانية مقاطع مثلاً، إلى سبعة مقاطع أحياناً، عن طريق حذف صوتي لبعض اللواحق أو العكس، أي البطء وذلك بتمديد صوتي لبعض اللواحق، "إلا أن البيت الشعري ضمن البنية العامة للقصيدة

القبائليّة، يعد كتلة متكاملة الأجزاء، يتشكّل نسيجه من وحدة دلاليّة وأنسجة تركيبية ونبرات أدائيّة، ويقوم أصلا على نظام الأشرطة، مفصولة بعضها عن بعض بوقف أو فراغ، ويقوم على وزن عروضي تشكّله مجموعة من المقاطع الصوتيّة التي تتباين طولاً وعددا تبعاً لنمطيّة البيت الشعري في حدّ ذاته". (1)

ففي هذه القصيدة المديح والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يغلب عليها طابع صوتي يتراوح بين: سبعة مقاطع صوتية في الأبيات الفردية (الأول، الثالث والخامس)، وخمسة مقاطع صوتية في الأبيات الزوجية (الثاني، الرابع والسادس)، فالقصيدة كلها مبنية -تقريباً- على نظام موحد بين المقاطع، وهذا ما سنبيّنه في التقطيع الصوتي لنفس القصيدة:

المقطع الأول: المقطع الثاني:

- 1- آذ / صل / ليغ / فل / لاك / أن / بي.
- 2- إ / طا / بي / ذل / حد.
- 3- أش / شه / ذن / ثا / ممت / ثح / رورث.
- 4- إز / طان / نف / وا / حد.
- 5- سل / مي / ي / فر / سو / لل / لاه.
- 6- أن / بي / مو / حم / مد.

المقطع الثالث: المقطع الرابع:

- 1- آذ / صل / ليغ / فل / لاك / أن / بي.
- 2- إ / طا / ذث / لا / ثا.
- 3- اش / شه / ذن / ثا / ممت / ثح / رورث.
- 4- إز / طان / فث / لا / ثا.
- 5- سل / مي / ي / فر / سو / لل / لاه.
- 6- أن / بيذ / جب / را / ين.

المقطع الخامس: المقطع السادس:

- 1- آذ / صل / ليغ / فل / لاك / أن / بي.
- 2- إ / طا / بيذ / لُح / ميسن.
- 3- أش / شه / ذن / ثا / ممت / ثح / رورث.
- 4- إز / طان / إي / ما / نيسن.
- 5- سل / مي / ي / فر / سو / لل / لاه.
- 6- أن / بيذ / وار / را / ويسن.

المقطع السابع:

1- آذ / صَلَّ / لِيَعْ / فَلَّ / لَأَكْ / أَنْ / يِي.

2- إِ / طَّا / يِي / دَسْ / سُبَيْثُ.

3- أَثْنُ / شَهْ / ذَنْ / ثَا / مُمُثْ / ثَحْ / رُورْثُ.

4- إِزْ / طَّا / نُنْ / وَصْ / صَفْ.

5- سَلْ / مِي / فِرْ / سُو / لُلْ / لِهْ.

6- أَذْ / سِيذْ / نَا / يُو / سَفْ

فنظام القصيدة الصّوتي موحّد بين مقاطعه السبعة، المتراوح بين السّبعة والخمسة مقاطع، ماعدا البيت السادس من المقطوعة الشّعريّة السادسة، فنجد ستة مقاطع عوض الخمسة، وهذا التفاوت لا يبرز أثناء الإنشاد الشفوي، وإنما تبيّن لنا من خلال تلك الكتابة المقطعية، وبتعدد اللّواحق.

أمّا حرف الرّوي، فيختلف من صوت صامت إلى نغمة صائتة ففي المقطوعة الأولى، نجده صوتا صامتا بحرف "الدّال"، كذلك الأمر بالنّسبة للمقطوعة الثانية لكن بحرف "النون"، أما المقطوعتين الثالثة والرابعة، فقد جاء حرف الروي عبارة عن نغمة صائتة وهي ألف الإشباع (المدّ).

ثمّ نعود لنجد المقطوعة الخامسة، الصوت الصامت "السين" كحرف روي، لتعود النغمة الصائتة لألف الإشباع أي المدّ في المقطوعة السادسة.

وفي المقطوعة السابعة والأخيرة، نجد اختلافا طفيفا في حرفي الروي، لكن كلاهما صوت صامت، متقاربين من حيث المخارج الصوتية؛ حرف "الثاء" في البيت الثاني، أما البيتين الرابع والسادس فجاءا بحرف "الفاء".

فالقصيدة إذاً، مشكّلة من سبع سداسيات (سبعة إزنان)، وعدد المقاطع في البيت يتراوح بين الخمسة والسبعة، بينما نجد حرف الروي مع الأبيات الزوجية دائما موحّداً، أما الأبيات الفردية فلا تلتزم فيها بالروي، وبالتالي القصيدة كلها مشكلة على نظام القصيدة التقليدية القديمة "ناقصيت".

2-1- من حيث البنية التركيبية أو الوحدات النحوية:

يقصد بالوحدات النحوية، تحليل النصوص إلى مكوناتها النحوية الدنيا، صرفا وتركيبا ومن شأن ذلك تمكين القارئ من الوقوف على الدلالات التي ينطوي عليها هذا التركيب أو ذاك. وقد رأينا أن نعلم إلى إثبات ترجمتين، حرفية وفصيحة على التّوالي.

إذ تكشف الأولى عن خصائص تراكيب اللّغة القبائلية وتوزيع وحداتها الصّرفية، وهيئات بُناها التركيبية من خلال الرتب والتقديم والتأخير، مثل:

1- إيناس = قل له.

2- آ ذ ا س يني.

3- آ Ø [ذا] س يني.

أما الثانية، فتتجاوز هذه الحرفيّة لتعبر مستندة إلى السّياق عن مقصد ما. ومنه سنتقدّم بهذا التحليل لنفس القصيدة - المديح والصلاة على النبي - بذكر الوحدات النّحوية للنص الأصلي (بالقبائلية)، ثم تقديم الترجمة الحرفية للنص، أي ما يعادله باللغة العربية الفصحى، ثم نعيد تركيب تلك الترجمة الحرفية من خلال المعنى حسب قواعد اللغة العربية لنحصل على الترجمة الفصيحة للقصيدة الشعرية القبائلية.

أ-الوحدات النحوية للمقطوعة الشعريّة: أ-الوحدات النحوية للمقطوعة الثانية:

1- آذ صليّ غ فل أك أ نبي. 1-آذ صليّغ فلاك أ نبي. (تم تقطيعه)

1-س أصل ي على ك يا نبي.

لجعل الفعل فعل مضارع ضمير جار مجرور أداة منادى

خاصا بالمستقبل متصل مذكر مفرد نداء

(ظرف زمان) للمتكلم

2-إط ايّ (2) دّ (3) لحدّ. 2-إط اذ لثانين.

-(ال)لي(ة) هذ(ه) إنّه الأحد -(ال)لي(ة) إنّه الاثنين

مسند إليه إسم إشارة أداة مسند مسند إليه أداة إسناد مسند(خبر)

(مبتدأ) إسناد (خبر)

3-آ شَهْدَا نْ ثَامَمْتُ نَحْرُوْث. 3-آ شَهْدَا نْ ثَامَمْتُ نَحْرُوْث. (تم تقطيعه)

يا شهد ل العسل الحر.

حرف منادى قرينة مضاف

نداء إضافة إليه

4-إِ زَطَانْ فْ وَاحِدْ 4-إِ زَطَانْ برذاين.

-التي نسجت على واحد. -التي نسجت مرتين.

اسم موصول فعل ماض ظرف مكان اسم مجرور اسم موصول فعل ماض تميز العدد

-سَلْم يي في زُسُول الله. 5-سَلْم يي في زُسُول الله. (تم تقطيعه)

-سلم لي على رسول الله
فعل أمر ضمير جار مجرور مضاف إليه
متصل

6- أَنِّي مُحَمَّدٌ. 6-أَنِّي جبرائيل.
- النبي محمد. -النبي و جبريل.
بدل (أول) بدل (ثاني) بدل حرف عطف معطوف عليه

ب-الترجمة الفصيحة: ب-الترجمة الفصيحة للمقطوعة الثانية:
-أصلي عليك أيها النبي. ليلة هذا الأحد. -أصلي عليك أيها النبي. ليلة هذا الاثنين.
-يا عسلاً مصقًى. المنسوج على واحد. -يا عسلاً مصقًى. المنسوج مرتين.
-سلم على رسول الله. النبي محمد. -سلم على رسول الله. النبي وجبريل.
أ-الوحدات النحوية للمقطوعة الثالثة: أ-الوحدات النحوية للمقطوعة الرابعة:
(الآيات 1،3،5 تم تقطيعها)

-إِطْ اذْ ثَلَاثًا. -إِطْ اذْ لَارْبَعًا.
-(الليلة) إنه الثلاثاء -الليلة إنه الأربعاء
مسند إليه أداة إسناد مسند مسند إليه أداة إسناد مسند
-إِ زَطَانُ ف ثَلَاثًا. -إِ زَطَانُ إِ لِهَوَا.
-التي نسجت على ثلاثة. -التي نسجت لَ لِمَطَرِ.
اسم موصول فعل ماض جار اسم مجرور. اسم موصول فعل ماض حرف جر اسم مجرور
-أَنِّي لِمُصْطَفًى. -نبي ذ صحابة.
-النبي المصطفى. -النبي و الصحابة.
بدل صفة بدل حرف عطف اسم معطوف

ب-الترجمة الفصيحة للمقطوعة الثالثة: ب-الترجمة الفصيحة للمقطوعة الرابعة:
-أصلي عليك أيها النبي. ليلة هذا الثلاثاء. -أصلي عليك أيها النبي. ليلة هذا الأربعاء.
-يا عسلاً مصقًى منسوج على ثلاثة. -يا عسلاً مصقًى. المنسوج للمطر.
-سلم على رسول الله. النبي المصطفى. -سلم على رسول الله. النبي والصحابة.
أ-الوحدات النحوية للمقطوعة الخامسة: أ-الوحدات النحوية للمقطوعة السادسة:
-إِطْ اَيَّ ذُ لَخْمِيسٍ. -إِطْ اذْ لَجُمْعًا.
- الليلة هذه إنه الخميس. - الليلة إنه الجمعة.
مبتدأ اسم إشارة أداة إسناد خبر مبتدأ أداة إسناد خبر (ظرف زمان)
(ج إ مشكلة من خبر) (ظرف زمان) (ج إ مشكلة خبر)
-إِ زَطَانُ إِ يَمَانِيَسٍ. -إِ زَطَانَتْ تُزَيُّوَا.

-التي نسجت ل وحدها. -التي نسجت النحل.
اسم موصول فعل ماض حرف جر اسم مجرور اسم موصول فعل ماض فاعل
(مفعول به) (مفعول به)
-إِنِّي ذُ وَاوَيْسُ. -ذُ صُحَابَا قُ عَشْرًا.
-النبي و أبناؤه. -و الصحابة في العشر.
بدل حرف عطف معطوف عليه حرف عطف معطوف عليه حرف جر اسم
مجرور

ب-الترجمة الفصيحة للمقطوعة الخامسة: ب-الترجمة الفصيحة للمقطوعة السادسة:
-أصلي عليك أيها النبي. ليلة هذا الخميس. -أصلي عليك أيها النبي. ليلة هذا الجمعة.
-يا عسلا مصفى. المنسوج لوحده. -يا عسلا مصفى. نسجته النحل.
-سلم على رسول الله. النبي وأبناؤه. -سلم على رسول الله. والصحابة.

أ-الوحدات النحوية للمقطوعة السابعة: ب-الترجمة الفصيحة للمقطوعة
السابعة

-إِطَ اِتِي ذَ سُبَيْثُ. -أصلي عليك أيها النبي، ليلة هذا السبت.
-اليلة هذه إنه السبت. -يا عسلا مصفى، المنسوج بالتمام.
مسند إليه اسم إشارة أداة إسناد مسند -سلم على رسول الله، وسيدنا يوسف.
-إِ زَطَانُ تُوصَفُ. -الذي نسج تماما.
اسم موصول فعل ماض حال

-أَذُ سَيْدَنَا يَوْسُفُ.
-و سيدنا يوسف.
حرف عطف اسم معطوف بدل

من خلال هذا التحليل المبسط، نتبين أن القصيدة مبنية على نظام واحد من حيث
المعنى والتي تهدف إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفه بالعسل الحر.
وفي طيات هذا المديح العام، نجد إدراج بعض الأسماء الشهيرة للأنبياء والمعاليم
الدينية الهامة كسيدنا يوسف، جبريل، الصحابة العشر، وأبناء الرسول عليهم السلام..

وهذا دليل على تشبع المتداولين لها بالثقافة العربية الإسلامية، هذا من جهة، كما لاحظنا أن شكل القصيدة كلها متكامل، ومتساوي العدد بين الأبيات من خلال المقاطع الصوتية، وبين المقطوعات الشعرية السبعة من خلال المبنى والمعنى، حتى أننا كثيراً ما نجد العبارات تتكرر من مقطوعة إلى أخرى إن لم نقل في كل المقطوعات الشعرية السبعة كالأبيات الفردية (5،3،1) المتكررة في القصيدة كلها بنفس الشكل والمعنى.

2-الأبعاد الدلالية للقصيدة الدينية:

حظيت اللغة بقسط وافر من الدراسات الحديثة، التي تبحث عن أصولها وتطورها التاريخي، إلا أنها تظل الأداة السحرية للمبدع في إخراج عمله الإبداعي، والأدبي إلى الوجود، فهي بمثابة نقطة الوصل بين المبدع والقارئ المتلقي، بغض النظر عن الفصاحة أو الشعبية.

ومنه، سنحاول دراسة لغة المرأة القبائلية في نصها الشعري، انطلاقاً من توظيفها للغة القروية القبائلية، وأحياناً الفصحى الدخيلة على لغتها الشعرية؛ وذلك بتسليط الضوء على لغة شعر المرأة القبائلية، التي وجدناها مزيجاً من عدة ألفاظ مختلطة الأصول، فتارة ألفاظاً ذات أصول عربية محضة، وأخرى ذات أصول أعجمية... ومنه يمكننا تمييز ثلاثة أنماط لفظية في أغلب قصائدها الشعرية كما يلي:

أ-ألفاظ ذات أصول عربية فصيحة في المعنى والمبنى:

إنّ الألفاظ التي نقول عنها دخيلة على اللغة الأصيلة القبائلية، قد تكون ناتجة عن الثقافة الإسلامية المكتسبة من الأجداد، ودليل ذلك بعض الألفاظ الواردة في مقطوعات شعر المرأة القبائلية وخاصة مع الشعر الديني، وأفضل ما يمثل ذلك قولها:

أ ذ صليغ فلاك أنبي (أصلي عليك يا نبي)، سلمي فرسول الله (سَلِّمْ على رسول الله)، شهدة (شهد)، الصحابة العشر، سيدنا يوسف، جبريل...

كلّها عبارات قريبة -إن لم نقل أصلية- من اللغة الفصيحة، أين وجدناها تمثلها أحسن تمثيل معنى ومبنى.

ب-ألفاظ متداولة بين الناس (دخيلة):

فبالإضافة إلى الألفاظ العربية الفصيحة، قد نجد تلك الألفاظ الدخيلة في شعر المرأة، المتداولة بين الناس، دون معرفة أصلها، أو منتقاة من اللغات الأجنبية (الفرنسية) ثم تصاغ في قالب اللغة الشعبية اليومية المتعامل بها، لكن هذا ما وجدناه في قصائد أخرى غير التي بين أيدينا، لذلك لن نطيل الكلام في القضية، لأنها قضية مطروحة

ومتداولة لدى جميع الجزائريين أي ازدواجية اللغة، أما الثانية منها فهي مأخوذة عن اللغة الفرنسية ومصاغة في قالب جزائري.

فهذا المزيج بين اللغات، أدى إلى اختلال في اللغة الأم إذ يشوبها الاستعمال المفرط للألفاظ والعبارات الغريبة، قد يعود ذلك إلى عهد الحكم العثماني والتركي في الجزائر، وصولاً إلى الاحتلال الفرنسي بها.

لكن هذا الاختلاط لا يدعو إلى الريبة، وإنما ظاهرة صحيحة في اللغة، فالاستعارة من اللغات الأخرى دليل على الانفتاح والتفاعل ورفض الجمود.

ومن أنواع الألفاظ المستعملة في الشعر النّسوي القبائلي، ننتقل إلى دلالات هذه الألفاظ، من خلال تقسيمها إلى معاجم دالة، ومعرفة مدى مفهومها من خلال العلاقات الموجودة بينها، وبالتالي مدى حضور المجال الفكري للمرأة القبائلية أثناء نسجها للنص الشعري.

تمثل القصيدة مجموعة من الكلمات المرتبطة فيما بينها، بواسطة عدة علاقات مختلفة، وهذا ما يكسبها معاني سياقية تضاف إلى معناها المعجمي.

فهذا الأخير يوجد في الكلمة المفردة، أما حين تدخل السياق، فإن معناها لا يسعى معجمياً ولأن المعجم ليس نظاماً لغوياً، وإنما مجموعة من الكلمات، والكلمة كما يصفها ابن مالك في ألفيته (اسم وفعل وحرف):

كلامنا لفظ مفيد: كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم

فتقسيم كلمات القصيدة لا يكفي لاستشفاف المعنى، وإنما يجب إبراز تردداتها على شكل محاور معجمية وحقول دلالية، إلى تقسيم ابن مالك، لتحقيق الغاية.

1-2- الحقل الدلالي أو المعجمي:

"هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها" (4) وفق شروط معينة، من أهمها:

أ- لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.

ب- ولا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

ج- ولا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة. (5)

الهدف من هذا التحليل، هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً من الحقول، والبحث عن صلاتها بعضها ببعض، وبالمصطلح العام.

وهذا ما نجده مع المقطوعة الشعرية "أذ صليغ فلاك أنبي":

م ديني	م زمي	الأعلام	الطبيعة	الأعدا د	الحركة	الحيوا ن	النف سي	الصفات
أذ صليغ (أصلي) أنبي. رسول الله أنبي.	إيطاي ذلحد (ليلة هذا الأحد)	محمد	شهدة نثامث (شهذ العسل)	واحد	إزطان (المنسوج)		سلي (سلم على)	ثحروث (حرة صافية)
أذ صليغ أنبي. رسول الله أنبي.	إطاي ذلثناين (ليلة هذا الإثنين)	جيرابن (جبريل)	شهدة نثامث	فثلاثا (على ثلاثة)	إزطان		سلي	ثحروث
أذ صليغ أنبي. رسول الله أنبي.	إطا ذلثلاثا (ليلة هذا الثلاثاء)	المصط في	شهدة نثامث		إزطان		سلي	ثحروث
أذ صليغ أنبي. رسول الله أنبي. الصحابا	إطا ذلأربعاء (ليلة الأربعاء)		شهدة نثامث إلهو (للمطر)		إزطان		سلي	ثحروث
أذ صليغ أنبي. رسول الله أنبي.	إطاي ذلخميس (ليلة هذا الخميس)	آراويس (آله)	شهدة نثامث	إيماني س (الوحد ها)	إزطان		سلي	ثحروث
أذ صليغ أنبي. رسول الله الصحابا	إطا ذلجمعا (ليلة هذا الجمعة)		شهدة نثامث	قعشرا (العش رة)	إزطان		سلي	ثحروث
أذ صليغ أنبي. رسول الله سيدنا	إطاي ذسبت (ليلة هذ السبت)	يوسف	شهدة نثامث		إزطانت	ثنزوا (النحل)	سلي	ثحروث ثوصف

المعجم المسيطر على هذه القصيدة السباعية المقاطع، هو المعجم الديني، والذي يفرضه ربع القصيدة الدينية، أين يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك تردد بعض الوحدات الدلالية ك: أذ صليغ، رسول الله، النبي، الصحابة، الصحابة قعشرة... ثم يليه المعجم الزماني بوحداته الدلالية المرتبة حسب أيام الأسبوع بدءا من يوم الأحد إلى غاية يوم السبت، والعلاقة بين هذين المعجمين، تبين أن أهل المنطقة يتذكرون الرسول صلى الله عليه وسلم طيلة أيام الأسبوع وبالتالي السنة، كما يبعثون بسلامهم الحار، تشكرا وتبجيلا على بطولاته وإخراج الناس من ظلماتهم إلى النور، ودليل ذلك تلك الوحدة الدلالية المتكررة في كل المقطوعات الشعرية ضمن المعجم النفسي: سلمي

(سلم على) وهذا ما يدل على اعتراف أهل المنطقة بجميل رسولهم الكريم والتمسك بالدين الحنيف.

ومن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتبجيله، نجد إدراج بعض أسماء الأعلام الدينية البارزة أمثال: جبريل، يوسف، آل محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا كذلك يبين مدى ثقافة أصحاب المنطقة الدينية، وهذا ما أدرجناه ضمن معجم الأعلام.

بعدها يأتي المعجم الطبيعى، والممثل "بشيد العسل"، الذي يقابل مدح الرسول ووصفه صلى الله عليه وسلم، ففيه يوصف النبي الكريم ببشيد العسل الصافي، والشافي، فالرسول صلى الله عليه وسلم جاء كما نعلم شافيا ومخرجا للناس من ظلماتهم الجاهلية إلى نور الإسلام، وحاله كحال شهد العسل الذي يستعان به للشفاء من مختلف الأوبئة والأمراض.

غير أن العسل الطبيعى، له طريقة خاصة في نسجه، إذ يقوم النحل بجمعه من رحيق الأزهار الطبيعية، ثم ينسجه في الخلية ليكون مجموعة من الخلايا في صفيحة أو في عدة صفائح.

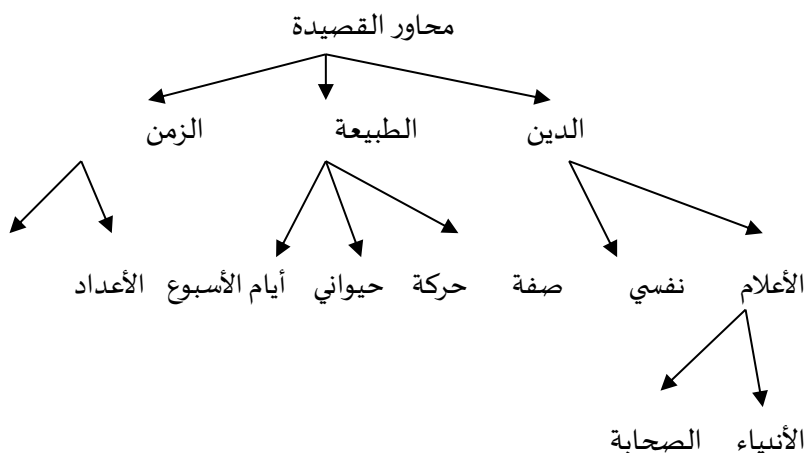
وهكذا حتى تكتمل بالتمام ويجمع من طرف الفرد ليستغله في فائدته، وهذا ما بينته الوحدات الدلالية المذكورة في معجم الأعداد: (واحد، مرتين، ثلاثة...) ولتكون لنا الأعداد المرتبة يجب أن تسبقهما حركة ونشاط تدعى بالنسيج أو الحياكة (إزطان) وهذا ما أوردناه ضمن المعجم الحركي، أما صاحب النشاط والنسيج الخاص بالعسل، يعود إلى حشرة وحيدة وهو النحل، والذي يقوم بعمله حتى يكتمل بصورة نهائية خالصة، وهذا ما دلت عليه وحدات معجم الصفات، ثحورث (الصافية)، وثوصف (مكتملة). أي أن الخلية الخاصة بالنحل، ينسج فيها عسل صاف حر، إلى أن تكتمل الصفيحة، بقدرة الله تعالى، وتستغلها الكائنات الحية لفائدتها.

وباكتمال العسل الصافي، تبعث التحية إلى صاحب الدواء الفعلي والشافي، الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى كل من ساعده في تبليغ الرسالة الإلهية، وهذا ما يمثل صورة النبي الجليل أثناء قيامه بتبليغ رسالته المحمدية بيسر، إذ جزّأها بالتقسيط حتى يستطيع الناس تقبلها وتلقمها ببساطة.

فهو بذلك قام بمهام يشبه مهام النحلة العاملة بنشاط، كي ينير أمته ويشفيهم من وباء الجاهلية

فكل هذه الخطوات جاءت متناسقة ومنسجمة فيما بينها، والأمر نفسه بالنسبة لمعاني الوحدات المعجمية، لا تؤدي دلالتها العميقة إلا ضمن السياق العام للكلام. فالمعاجم الموظفة في هذه القصيدة مرتبطة فيما بينها، الأمر الذي حقق انسجاما بين وحداتها، وهذا ما أدى إلى بروز ثلاثة محاور رئيسية بفضلها انتظمت القصيدة كاملة وهي: المحور الديني، والطبيعي، والزمني.

فالديني نلمس فيه التشبع بمعاني الإسلام، والمعرفة بها من خلال الأعلام الواردة، والتفسي فيه حب وتبجيل واعتراف بجميل الرسول الكريم، أما الطبيعة فتمثل القصيدة في حركة الحشرة وحدها لإنتاج العسل النقي الصافي، والذي ترمز إليه الصفة، ليأتي المحور الزمني فيذكر فيه أيام الأسبوع، وبعضا من الأعداد، وكل هذا يمكننا تبينه وفق الشكل الآتي:



ومع ذلك لا يمكننا إهمال ملاحظة، تكرار بعض الألفاظ والعبارات في متن هذه القصيدة، خاصة مع بداية كل مقطوعة أين تبدأ فيها بقول: "آذ صليغ فلاك أنبي" فهي عبارة مكررة سبع مرات بتكرار كل مقطوعة، إذ نستطيع تأويل ذلك على أنه شعر شفوي، غير مكتوب، ولتسهيل عملية الحفظ والإلقاء المنسجم والمرتب، فالنبيء

الوحيد المساعد على ذلك ذكر أيام الأسبوع مرتبة بدءا من يوم الأحد وصولا إلى يوم السبت، ففور الانتهاء من المقطوعة الواحدة تبتدر إلى أذهانهم لفظة "آذ صليغ فلاك أنبي، إطاوي"... ومباشرة ذكر اليوم الموالي الذي يتبع الأحد أي الاثنين...، حتى تبلغ نهاية القصيدة بشكل محكم ومنظم.

خلاصة القول إذا، إن القصيدة التي تناولناها بالتحليل قصيدة دينية محضة، لأنها الأكثر شعبية في المنطقة وهذا ما جعلها تحتل مكانة مميزة بين أفرادها، فالكمل يحفظها مقارنة مع القصائد الشعرية الأخرى، إذ أصبح لها وظيفة أدائية خاصة ومتعددة حسب اختلاف الطقوس والمناسبات اليومية.

كما أن المرأة القبائلية بدورها تقدسها وتبكر بها في أداء مهامها، وفي تربية أبنائها، فنحن مثلا نشأنا على ترانيمها وتلقناها عن ظهر قلب، كيف لا وهي تذكّرنا بمعزة رسولنا الكريم وفضائله علينا، مما جعلها قصيدة دينية محكمة النسخ، كما اعتمدت المرأة المنشدة على رصيد لغوي مختلف الينابيع أو مزدوج بين القبائلية الأصلية واللغة العربية الفصيحة الملائم لسياق الكلام والإنشاد. حتى أنها التزمت العفوية الغنائية بالموسيقى الداخلية والخارجية مما يعكس الحالة الشعورية والشعرية للمرأة أثناء الأداء، وكذا على إحساسها الفطري بالإيقاع والتناغم، بالرغم من بساطة التعبير وشفويته دون تنميق. هذا إذا ما جعل القصيدة واضحة المعاني وقريبة من السامعين والمؤدين لها، وبالتالي تركت بصمتها الاجتماعية في منطقة – آيت تيزي-.

الهوامش:

*منطقة – آيت تيزي- بلدية تابعة لدائرة "بوعنداس" البلدية الأم سابقا، وتقع شمال غرب ولاية "سطيف".

**رواية عن "حليمة بن يحيى" ابنة الهادي بن يحيى وأم العز واصلي، المولودة بقرية آيت تيزي في 1 ديسمبر 1943.

(1)-احمد جلاوي: إشكالية النسخ والتدوين في التراث الشعري الأمازيغي (القبائلية كنموذج)، مجلة معارف العلمية والفكرية، المركز الجامعي بالبويرة، العدد الثاني، الجزائر، أفريل 2007، ص 162.

(2)-ايي: اسم إشارة لا يختص لا بجنس ولا بنوع.

(3)-ذ: لا معادل دقيقا له في اللغة العربية يمكن معادلته في الفرنسية ب نظرا لعدم اشتغال اللغة العربية على فعل الكينونة "etre"المساعد.

(4)-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة 1998، ص 79.

(5)-المرجع نفسه، ص 80.

